علي المفيدي .. عمل في إدارة البريد ساعياً .. ثم انتقل إلى عالم الفن

يعتبر الفنان الكبير الراحل علي المفيدي واحداً من أعمدة الفن والإعلام، الذين أثروا المكتبة الفنية الخليجية والكويتية بكثير من الأعمال الإبداعية المتميزة، والتي تركت بصمات واضحة في مسيرة الحركة الفنية بالكويت خصوصاً، والحركة الفنية الخليجية بصفة عامة، وقدم الفنان القدير على مدى أكثر من أربعة عقود مشواراً فنياً متنوعاً وشاملاً في الإذاعة والمسرح والتلفزيون والسينما.

سيظل المفيدي مدرسة خاصة تنهل منها الأجيال، فكم من نجوم تلألأت في سماء الفن والإعلام بفضل علمه، ومنذ عانقت حنجرته ميكروفون الإذاعة، انطلق منها نحو آفاق التقديم والتمثيل، وكان كل من يعاني خللاً في اللغة العربية يلجأ على الفور إلى «ملك الميكروفون» المفيدي ليشكّل له الكلمات، ويعلمه كيفية نطقها السليم، واستعان به المعهد العالي للفنون المسرحية ليدرّس مواد الإلقاء، واللغة العربية، والإذاعة.

قدم شخصيات خالدة، الساحر «شبروح»، و«قحطه»، و«حنظل» في مسلسلات الشاطر حسن، ودرب الزلق، وخالتي قماشة على التوالي، وبرامج إذاعية ذات بصمة، كـ«نجوم القمة»، ونافذة على التاريخ، والكويت كلمة السلام، وأدواراً سجلت في تاريخ الحركة المسرحية عبر أعمال كثيرة بينها «حامي الديار»، و«هالو دوللي»، و«بخور أم جاسم».

المفيدي مشاركا في عمل إذاعي

اشتهر بدور قحطة في مسلسل درب الزلق

طليمات أعجب بأدائه في مشهد «طارق بن زياد» ووافق على التحاقه بالمعهد

شارك في السهرة التلفزيونية «عيادة ومواقف» مع عماد حمدي

مثل في «قيس وليلى» و«صلاح الدين وبيت المقدس» بمركز الدراسات المسرحية

قدم أكثر من برنامج إذاعي منها «ركن المرأة والطفل»

سيرة ذاتية

اسم الفنان علي المفيدي بالكامل هو، علي سليمان علي المفيدي، أبصر النور في عام 1937 في منطقة شرق بالكويت، وعاش طفولة ثرية شهد خلالها أحداثا كثيرة ربما مارست دورا في اتجاهه فيما بعد للفن.

وقد نشأ المفيدي لأسرة كويتية متوسطة الحال، ولما بلغ عمره الخامسة درس عند الكتاتيب، لدى المطوعة لحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة، حيث كانت عادة لدى أهل الكويت، ثم درس عند الملا مرشد، حيث مكث الطفل علي المفيدي قرابة العامين عنده، حفظ خلالها عدداً من سور القرآن الكريم، وقد كانت من عادات الماضي الجميل أن من يختم القرآن الكريم يعمل له (زفّة) عبارة عن موكب احتفالي يُحتفى بصاحبه خاتم القرآن الكريم.

وكان الملا مرشد صاحب بصمة تربوية، تمثلت في إنشائه مدرسته في عام 1926، في بيت خاص به، ثم راح يطورها، سواء من خلال المبنى نفسه في منطقة المرقاب خلف مبنى الاتصالات السلكية واللاسلكية (الحالي)، أو من خلال إدخاله مناهج تعليم أخرى غير القراءة والكتابة والقرآن الكريم والخط والحساب، وتعليم اللغة العربية، ومبادئ الأدب العربي، والفقه والتوحيد.

بين البريد والإذاعة

وكان المفيدي على يقين أن القدر يخبئ له شيئا غير كونه موظفا بالبريد، وهو ما تحقق، ففي أواخر عام 1959 أعلنت الإذاعة الكويتية حاجتها إلى مقدمي برامج ومذيعين، فسارع بتقديم طلب ليكون مذيعا، حيث لم ينس عشقه لفن الإذاعة، وحرصه منذ صغره على متابعة الإذاعات العربية بشكل منتظم، فضلا عن إذاعتي «صوت لندن»، و«الشرق الأدنى» التي كانت تبث من قبرص، ولما جاءه الرد من الإذاعة الكويتية تقدم للاختبارات مع مجموعة من المتقدمين الذين أصبحوا نجوما في الإذاعة فيما بعد، ونجح في الاختبارات، وحصل على تدريب استمر أكثر من عام، ليحسن من أدائه الصوتي، وبعدها قبل مذيعا بإذاعة الكويت مع نقل خدماته من البريد، لكن مدير البريد وقتئذ رفض، وظل المفيدي يعمل في البريد والإذاعة حتى عام 1963، وبعد مفاوضات بين مسؤولي الإذاعة والبريد سمحوا له بالعمل في الإذاعة بعد وقت الدوام الرسمي في البريد، وظهر صوت علي المفيدي على الهواء لأول مرة في مارس عام 1963 بعبارة «هنا الكويت».

المفيدي ممثلاً

في الإذاعة، بدأ المذيع علي المفيدي يقدم أكثر من برنامج إذاعي، فقدم «ركن المرأة والطفل»، و«ركن الشرطة»، وبرنامج «التثقيف الصحي»، و«ركن البيطرة»، والبرامج الشعبية والغنائية، وكان يضع خفة دمه في الإلقاء والتقديم، فيحيل المادة العلمية الدسمة إلى مادة خفيفة يقبل عليها المستمعون.

ولأن بداخله ممثلا كامنا، كان المفيدي يمزج في تلك البرامج بين التقديم والتمثيل، وعندما سمعه المخرجون بالإذاعة أسندوا إليه أدواراً صغيرة باللهجة المحلية، وباللغة العربية الفصحى، وعلى رأس هؤلاء المخرجين المخرج أحمد سالم، الذي أشركه كممثل إذاعي في بعض مسلسلاته.

مركز الدراسات المسرحية

وبسبب الطموح الفني وتطوير أدواته التمثيلية التحق علي المفيدي بمركز الدراسات المسرحية فور إعلان إنشائه في عام 1964، على يد الرائد المسرحي المصري زكي طليمات، كأول صرح أكاديمي لتعليم التمثيل وقواعد المسرح، في وقت بدأت الحركة المسرحية الكويتية تشهد نمواً واضحاً بعد تأسيس الفرق المسرحية الأربع: العربي، الشعبي، الخليج العربي، والكويتي، وقد تحول بعد سنتين إلى معهد للدراسات المسرحية.

وكان شرط الالتحاق بالمركز اجتياز الاختبارات المقررة، وتقدم في البداية ما يقرب من 130 طالبا، ثم تقلص العدد إلى أن وصل إلى ثمانية أشخاص فقط، وكان الفنان الكبير الراحل زكي طليمات مديراً للمركز، ومثل علي المفيدي أمامه مشهداً من مسرحية «طارق بن زياد»، وأعجب طليمات بأدائه، ووافق على التحاقه بالمعهد، ثم أشركه في بعض أعماله المسرحية التي أخرجها في الكويت، ومنها مسرحية «قيس وليلى»، و«صلاح الدين وبيت المقدس»، على الرغم من أن المفيدي كان في السنة الدراسية الثانية بالمعهد، وخلال فترة الدراسة ظل علي المفيدي يواظب على الاشتراك في التمثيليات الإذاعية، كما شارك في السهرة التلفزيونية «عيادة ومواقف» مع الفنان الكبير الراحل عماد حمدي، من إخراج المخرج الراحل نور الدمرداش.

ولم يفوّت المفيدي، أي فرصة، لصقل موهبته الفنية، حيث انتسب إلى قسم التمثيل والإخراج المسرحي في المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت، التي عدت حينئذٍ ثالث دولة عربية تنشئ معهداً متخصصاً بعد مصر والعراق، ليتخرج فيه المفيدي حاصلاً على درجة البكالوريوس عام 1979، وكان حينئذ يتولى عمادة المعهد الراحل سعيد خطاب، وهو أول عميد للمعهد.

في إحدى المقابلات، لفت المفيدي إلى استفادته الكبيرة من المعهد، حيث كان يمثل في العديد من الأعمال التاريخية والإسلامية في الإذاعة، وكان يتخللها ما يعرف بالضجيج الذي يؤديه الممثلون، وعندما يصل دوره يكون صوته ضعيفاً، لكن بانتسابه إلى المعهد، تعلم فن الإلقاء، وكيفية استخدام الصوت، فهو الوقود الحقيقي للممثل، وكيفية الاقتصاد بالصوت، وأين يسرف فيه؟، وعملية التنفس في الوقت المحدد.

استفاد المفيدي من المعهد القواعد والأصول والنظريات والتدريبات العملية، إضافة إلى المعلومات العامة، وتاريخ المسرح ومدارسه ونظريات الإخراج.

«ثم غاب القمر»

وشارك المفيدي في أعمال الفرقة الناجحة، منها مسرحية «ثم غاب القمر»، التي قدمتها الفرقة في 31 مارس 1969، على مسرح كيفان، من تأليف الكاتب الأميركي جون شتاينبك، وإعداد حسين مؤنس، وإخراج كمال حسين، وتمثيل محمد المنصور، ومحمد السريع، وسليمان الياسين، وسعاد حسين، وغافل فاضل، ونور الهدى صبري.

تعالج فكرة هذه المسرحية الآثار التي يخلفها الغزو العسكري على نفوس كل جنود الاحتلال والمجتمع الذي تعرض للغزو، وذلك من خلال تركيز الأضواء على ما أحدثه اجتياح قوات النازي لمدينة صغيرة بالنرويج في بداية الحرب العالمية الثانية.

وقد توقعت قوات النازي أن يرحب أهالي المدينة بها، غير أن هذه القوات فوجئت بحالة من العصيان المدني والمقاومة، وعقب احتلال المدينة وافق عمدتها على مقابلة العدو في محاولة منه لحقن دماء السكان المسالمين، وتم الاتفاق معه على تنفيذ خطة للتعايش السلمي المشترك بين قوات النازي وأهل المدينة، لكن بعد تطور الحرب وزحف قوات النازي على الدول الأوروبية المجاورة، وشك أهل المدينة بولاء العمدة ووطنيته، وبدأ سكان المدينة بتنظيم صفوفهم وإعلان العصيان المدني ومقاومة الاحتلال، ووجد جنود النازي أن الاتفاقية أصبحت مجرد حبر على ورق، واكتشفوا أن العمدة يترأس سرا إحدى مجموعات المقاومة، فيتم إلقاء القبض عليه، ومن ثم إعدامه، ويكون استشهاده حافزا لسكان المدينة على مواصلة الكفاح من أجل الحرية.

«بخور أم جاسم»

ثم شارك المفيدي بدور (أبو فهد) والد (بدرية) في مسرحية «بخور أم جاسم»، التي لاقت نجاحا كبيرا، عند عرضها في 3 نوفمبر 1969 على مسرح كيفان، ولمدة 6 أيام، ثم عرضت في البحرين في 26 يناير 1970، وهي من تأليف محمد السريع وإخراج صقر الرشود، وتمثيل: مريم الغضبان (أم سعود)، سعاد حسين (أم جاسم)، محمد المنصور (الخال بوراشد)، عبدالعزيز الحداد (سعود)، زينب الضاحي (الزوجة بدرية).

تدور أحداث المسرحية حول الأم الحماة التي لا تستطيع بسهولة أن تستوعب أن ابنها أصبح شاباً وتزوج من امرأة يحبها وترعاه، فهذه الأم تجد أنه من الصعوبة بمكان أن ترى ابنها في حضن غيرها، ومن المؤلم لنفسيتها أن تقاسمها امرأة أخرى حب ولدها، فتتشاجر مع كنتها، وتتصاعد الأحداث الدرامية إلى أن تكون العقدة في إصرار الأم على ألا تكون في البيت إلا امرأة واحدة، ثم يهبط الحدث من قمة التأزم إلى طريق الحل في تدرج جميل، إذ تخرج الزوجة برضاها إلى منزل والدها، ريثما تهدأ الأمور، ثم تخرج الأم في رحلة مع الجيران إلى البصرة، فتخلو الدار لتكون هناك فرصة للتفاهم بين الزوجين ووالد الزوجة، ويتعهد الوالد لابنته بإنهاء المشكلة التي تؤرقهما.

وتعود الأم من الرحلة وتعرف أن كنتها زارت ابنها في غيابها، وتنصحها جارتها «أم جاسم» باستخدام بخور له مفعول سحري في تطويع الرجال، وتستخدمه كوصفة تعيد الابن إلى استحواذها، لكن والد الزوجة يعود إلى استرضاء الأم بكل الطرق، وتنصاع الأم له، لأنها ظنت ما حدث جعله لهذه الدرجة من التوسل إليها هو بخور أم جاسم، فيعود الصفاء إلى المنزل بفضل حكمة الصهر.

وقد اشتهر المفيدي في دور «أبوفهد» ولزمته الشهيرة: «يا أم سعود أقول عود».

«الجحلة»

وهناك مسرحية «الجحلة»، وهي من إعداد صقر الرشود، المقتبسة من مسرحية «الجرة» للكاتب المسرحي الإيطالي لويجي براندللو، ومن إخراج د. صالح حمدان، وعُرضت من 2 إلى 6 مارس 1971 على خشبة مسرح كيفان، وهي من بطولة الفنانين محمد السريع، وأحمد الضرمان، وابتسام حسين، وهيفاء عادل، ومنصور المنصور، ومبارك سويد، وعبدالله الحبيل، وعبدالرحمن العقل، وحسين المنصور.

«الدرجة الرابعة»

وهناك مسرحية «الدرجة الرابعة» التي قدمت في دمشق والقاهرة من 5 إلى 7 أغسطس 1971، ثم عرضت في الكويت على مسرح في 25 يوليو 1972، لمدة 3 ليال، وهي من تأليف عبدالعزيز السريع وإخراج صقر الرشود، وتمثيل: سعاد عبدالله، ومنصور المنصور، ومحمد المنصور، وسليمان الياسين، ومحمد المنيع.

وتدور أحداث المسرحية في قالب اجتماعي، إذ تثير موضوعاً مألوفاً يتلخص في رغبة الزوجة الشابة (ثريا) في الاستقلال عن أسرة زوجها (وليد)، لتأخذ حقها في منزل يخصها مع أسرتها الصغيرة المكونة منها والزوج وطفلين، لكن وليد يتردد كثيراً حتى يوافق مضطراً، وتبدأ الخلافات بين الزوجين، بعد استقلالهما في شقة صغيرة مستأجرة، حيث تزداد شراهة ثريا في الإنفاق على المظاهر، ولم يفلح وليد في إيجاد صيغة مقبولة للتعايش والتفاهم، وتتعثر حياتهما أمام عنادها وسوء تقديرها حيث يضيع أمله وطمأنينته فيقع ضحية الديون، ويتمرد على زوجته أخيرا، فتخضع للأمر الواقع، لكنها تعود إلى عادتها السيئة بعد مكالمة من إحدى صديقاتها.

«يا غافلين»

أما مسرحية «يا غافلين» فهي من تأليف محمد السريع وإخراج منصور المنصور، وعرضت في فترة الترويح السياحي في سبعينيات القرن الماضي، وأشرف عليها المربي الفاضل الراحل صالح شهاب، وهو أحد رواد الحركة السياحية، إذ استقطب كثيرا من الفرق الغنائية والشعبية وحفز المسارح الأهلية والخاصة على المشاركة في الفعاليات، وشاركت فرقة مسرح الخليج العربي بمسرحية «يا غافلين»، التي تلقي الضوء على شخصية مهمة في المجتمع الكويتي، خصوصاً في فترات تطور الحياة العصرية في البلاد، ألا وهي شخصية «المحقق» الذي يبذل الكثير والكثير من أجل راحة المواطنين والمقيمين، وكيف يقضي هذا المحقق يومه في الاستماع إلى مشاكل الناس والتوفيق بين الأطراف المتنازعة، ويحاول قدر استطاعته حفظ القضية حفاظاً على كيان الأسرة، وتدور الأحداث في مكتب المحقق بأحد مخافر الشرطة، وتحفل بنماذج عديدة من عامة الناس الذين لا تربطهم بالمجتمع علاقات حية، وتتكون المسرحية من فصلين فقط، وعرضت على مسرح كيفان من 31 يوليو إلى 10 أغسطس 1974.

وهي من تمثيل خالد العبيد، وحياة الفهد، ومنصور المنصور، وسليمان الياسين، ومحمد السريع، وهيفاء عادل، وعبدالرحمن العقل، وعبدالله الحبيل.

وتعد هذه المسرحية هي آخر أعماله المسرحية التي شارك فيها ممثلا مع مسرح الخليج العربي. وقد أشاد الناقد والصحافي أنطون بارا بالأداء التمثيلي للراحل المفيدي مع زميله الفنان سليمان الياسين بقوله: «شكل المفيدي والياسين كوبلا ممتازا، وكان دورهما من أجمل أدوار المسرحية».

أعماله الإذاعية

قدم الفنان علي المفيدي عدداً كبيراً من البرامج الإذاعية معداً ومخرجاً ولقب بـ«ملك الميكروفون» لتميزه في تلك البرامج وأشهرها: نافذة على التاريخ، نجوم القمة، شهداء الكويت، حبيبنا الغالي، الكويت كلمة سلام، ينابيع الخير، رفع الستار.

كما قدم المفيدي مجموعة متميزة من الأعمال الدرامية الإذاعية المأخوذة من التراث، التي شارك فيها بالإعداد والتمثيل والإخراج وأشهرها: الأميرة والثعبان، من شمم البادية، الثعلب طعمار والأميرة قبلة الأنظار، عنتر وعبلة، وثلاثية «ابن الحطاب، ابن النجار، ابن العطار»، الفتوحات الإسلامية، بيت من رمال، حبابة.

رحيله

عانى المفيدي بعض المشاكل الصحية، وكان حينها يستخدم أجهزة التنفس، إلى أن أُدخل العناية المركزة في مستشفى الخالدي في عمّان بالأردن، ليواجه قدره وقدر محبيه ويفارقنا بجسده في 28 سبتمبر 2008، ليسدل الستار على حياته التي بلغت 70 عاما، قضى أغلبها في دروب الفن ومجالاته المختلفة، تاركا وراءه تاريخا مشرقا من الأعمال العالقة في أذهان كل محب له.

المفيدي شارك في سهرة تلفزيونية مع الفنان المصري عماد حمدي